بأن « ماركس قد أصاب قلب المشكلة عندما قال بأن اليهودية استمرت حية » ليس برغم التاريخ ، ولكن في التاريخ ، ومن خلاله » . وهو لهذا يحاول ان يحلل مشكلة اليهودي واليهودية والحركة الصهيونية من خلال مجمل ظروف اليهود، والشعوب التي يعيشون بين ظهرانيتها. ولأنه يحلل ويستقصي، فإنه يكتشف اثر الشتات في اليهودي ، ويشير الى ذلك موضحا فرادة القضية اليهودية وهو ما ينسأه ويتجاهله كثيرون . ولكن دويتشر المفكر الماركسي ينسى ما هو اهم وأخطر . انه ينسى شعب فلسطين . الا انه لا ينسى اليهود ابداً ، وهو ، وأن كان يؤمن بأن تحرير اليهود لا يأتي بقيام دولة يهودية بل « بالتحرير الانساني الشامل » فإنه يعطي مبررات مختلفة لقيام دولة يهودية أهمها ما يلي :

١ - « أن الدولة اليهودية قد أصبحت بالنسبة لبنايا اليهودية الأوروبية ضرورة تاريخية ، وهي ايضا حقيقية حية » ، ولا يفوته أن يتساءل في النص ذاته : « أهي بالنسبة لهم فقط » .

٢ - « ان العالم اضطر اليهود الى اعتناق فكرة الدولة - الامة ، وان يجعل منها كبريائه واجله ، في الوقت الذي لم يبق فيه شيء من الامل او قليل منه » .

٣ - والانسان لا يستطيع أن يلوم اليهود على ما حدث بالعرب في فلسطين « فالناس الذين يطاردهم وحش ، وهم يركضون لاتخاذ حياتهم لا يستطيعون الا أن يؤذوا هؤلاء انذين في الطريق، ولا يستطيعون الا ان يدوسوا ممتلكاتهم » .

والحل بالنسبة لدويتشر هو : ايجاد لغة تفاهم

مشتركة بين اليهود ومن حولهم وقيام فيدرالية شرق اوسطية اشتراكية عربية - يهودية . ولكن هل هذا الحل ممكن ؟ وهل تسمح به طبيعة تكوين اسرائيل ؟ وكيف يمكن ان يتحقق ؟ ان دويتشر الذي يشرح لنا في صفحات طويلة كيف لم يستطع النظام البلشفي ان يحل المسألة اليهودية عنده ، يقترح علينا بسرعة وبساطة هذا الحل .

ودويتشر لا يكتفي بتبرير قيام دولة يهودية ، بل يطن ندمه على مهاجمة الصهيونية قائلاً : « لو انني ، بدلا من المجادلة ضد الصهيونية في العشرينات والثلاثينات حدثت اليهود الاوروبيين على الهجرة الى فلسطين ، فلربما كنت قد ساعدت على انقاذ بعض حيوات اطفئت في غرف الغاز الهلترية » .

والكتاب ، وهو مجموعة مقالات كتبت في اوقات مختلفة ، يقدم الكثير من التفاصيل والشروح عن حياة اليهود ومشاكلهم ، ولكنه ، في نظري ، لا يقدم حلا لقضية فلسطين . والحل الذي يقترحه لا يقوم على أسس . وأخطر ما يمكن ان يزرعه في اذهانتنا مثل هذا الكتاب ذو النفس التقدمي ، و ذو النزعة العلمية في التحليل فكرتان :

الاولى : ان الصهيونيين اضطروا الى الهجرة الى فلسطين ، واضطروا الى اقامة دولتهم فيها ، وان دويتشر مثلنا ضد هذه الدولة ولكنه لا يملك الا يعتبر وجودها « ضرورة تاريخية » بسبب عداة « عالم الاغيار » لليهود . الثانية : ان دولة الاحتلال « امر واقع » ، وان كل ما يجب ان نرجوه ونتيناه هو ان تتحول الى دولة اشتراكية ، وان تحيل العداة بيننا وبينها الى « حسن جوار » .

ن . ع .

Kishtainy, Khalid, *Whither Israel ? A Study of Zionist Expansionism*. Beirut: P. L. O. Research Center, 1970.

الفصول التي تبحث في اساليب التوسع - الصراع حول « الضغط السكاني » ، استئصال القوة والطرده و« الامر الواقع » والثأر . ويلفت الكاتب الانتباه ايضا الى الدور الذي لعبه اليهود في الخارج ضمن الخطة العامة للصهيونية . واخيرا هناك عدد من الفصول التي تروي قصة التسلل الصهيوني الى فلسطين والاستيلاء عليها .

لا شك ان الكتاب لن يستطيع ان يحول معتقسي الصهيونية الى موقف مضاد ولكنه يثير تساؤلات في اذهان من يؤيدون او يعطون على الصهيونية

يدور الكتاب حول فكرة اساسية هي ان التوسع صفة جوهرية من صفات الصهيونية، ويقدم الكاتب عددا كبيرا من الادلة المستندة الى الوثائق والمدعمة بعشرين خريطة مما يعطي للكتاب اثرا قويا .

تبحث الفصول الاولى من الكتاب معنى « فلسطين » و« ارض اسرائيل » من الناحية الجغرافية والتاريخية ويتبع ذلك بحث للاطلاع الاساسية التي تقوم عليها القومية اليهودية وبعد ذلك يقدم المؤلف تحليلا لآعمال المنظمة الصهيونية العالمية وعددا من